الاهتمام بثقافة الطفل.. ضرورة لبناء جيل جديد
12

أدباء اليمن.. الكتابة للطفل مهمة شاقة!!
13

الدكتور عبدالعزيز المقالح يبوح فيها عن عشقه لصنعاء:
يوم غدٍ .. ندوة عن المحافظة على المدن التاريخية

• ينظم اتحاد الأدبـاء والكتاب اليمنيين – فرع صنعاء ندوة عن (المحافظة على المدن التاريخية بين الواقع والطموح) وذلك على رواق بيت الثقافة بصنعاء في الحادية عشرة من صباح يوم غدٍ الثلاثاء.
وستقدم خلال هذه الندوة مجموعة من المداخلات وأوراق العمل التي تناقش واقع المدن التاريخية في اليمن وأهمية المحافظة عليها وما تتعرض له من أضرار.
وفي هذه الندوة سيقدم شاعر اليمن الكبير الدكتور عبدالعزيز المقالح بعض نصوصه الرائعة التي كتبها في حب وعشق مدينة صنعاء الجميلة.
ومن الذين سيشاركون في هذه الندوة المهندس نبيل منصر نائب رئيس الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية، والأستاذة أمة الرزاق جحاف وكيل الهيئة العامة للمدن التاريخية والدكتور مجاهد اليتيم وكيل وزارة الثقافة للمحافظة على المدن التاريخية والدكتور أحمد المعمري مدير عام اليونسكو بصنعاء والأستاذ الكاتب عبدالقادر الشيباني ..وغيرهم.

العرشي يفتح ملف الوحدة

لا أدري هل اتفق مع الأستاذ المناضل يحيى العرشي أم أعتب عليه لأنه أخر نشر كتابه قرابة ربع قرن من الزمن، فالكتاب الذي قام بإعداد أسئلته المحورية منذ 1987م وتحمل عناء البحث عن أجوبة للأسئلة المقلقة التي أثارها، هو «كتاب العمر» في رأيي فقد ارتبط اسم الأستاذ يحيى العرشي بالوحدة اليمنية منذ عقود، ليس باعتباره وزيراً لشؤون الوحدة لعدة مرات، بل باعتباره مناضلاً وحدوياً مخلصاً للوحدة في كل مهمة قام بها وفي كل منصب شغله، وأبرزها عمله في وزارة الإعلام والثقافة قبل وبعد الوحدة، وكذلك في موقعه في نفوس الناس على اختلاف مشاربهم وطبائعهم.. وأذكر أنني رافقته في رحلة تاريخية من صنعاء إلى عدن إلى حضرموت وشبوة ومارب، كان ذلك بعد أشهر قليلة من حرب 1994م، التي كانت شوكة في جسد اليمن وخنجراً مزق اللحمة الوطنية وبذر أزهار الشر في كيان الوحدة، تلك كانت المفارقة التي حملتها تلك الحرب، حافظت على الوحدة بقوة السلاح ونقضت أحلام الوحدة في الوقت ذاته، حين طغت قوى الاستتباع والفساد والنهب وأخذ بعض القادة عسكريين ومدنيين يعتبرون عدن مدينة مفتوحة بكل مـا تحمله العـبـارة من معان تكرس عقلية الفتح والتدمير والنهب.

هشام علي

في هذا المناخ الصعب، ذهب الأستاذ يحيى العرشي إلى عدن وكـان حينها وزيـراً للثقافة، وبـرغـم عنف الحرب وآثارها كانت زيارة العرشي برداً وسلاماً على نفوس المثقفين والمبدعين بـل عـلى نـفـوس الناس جميعهم، وأتـذكـر أننا توقفنا في الطريق بين شبوة وحضرموت، أمام مدرسة لأطفال البدو الرحل، وكانت المدرسة فضاء تحت شجرة ليس هناك مبنى ولكن كان هناك أطفال صغار يحملون إرادة التعليم ويحملون حبا لليمن وللوحدة، لقد هلل الصغار حين رأوا الأستاذ يحيى العرشي، ليس الوزير يحيى العرشي لكن المناضل الوحدوي الذي كان يعبر مرات ومرات متاهات صحراء «صيهد» بين حريب وبيحان ليوقف حروباً وصراعات على ما كان يسمى المناطق الحدودية بين شطري اليمن.. هكذا قدمه أحد الشيوخ الذين قابلناهم في ذلك المكان وهكذا عرفه لأولئك الصغار.

هذا هو الأستاذ يحيى العرشي في ذاكرة اليمنيين وهذه هي صورته في ذلك المكان عند أطراف الصحراء.

أعد لكتاب الأستاذ العرشي تاركاً الاستطراد في التعريف بـه، ذلـك أن الحديث عن شخصيته ودوره قد يطول كثيراً.. أقول إن يحيى العرشي جمع مـادة الكتاب في السنوات الثلاث الأخيرة من عقد الثمانينات، وتمت الوحدة بين شطري اليمن وهو يجمع هذه الأجوبة لكنه وجد أن إعلان الجمهورية اليمنية قد قطع قول كل مجيب، فارجأ نشر الكتاب لما يحتمله ذلك النشر من اضطراب أو تأويل لا سيما أن جمهورية الوحدة دخلت منذ عامها الأول في ثـورة الشك واضطراب المواقف وتنافر الأسئلة والأجوبة، ورغـم ما في كتاب العرشي الـذي حمل عنوان «الاستقلال... والوحدة» من قضايا مهمة كان ينبغي الاطلاع عليها ومعرفتها والاستفادة من أهم محور فيها، أعني ذلك المحور الذي ينتظم الأطـراف المختلفة في الحركة الوطنية ويجمعها في قضية الوحدة اليمنية عشية الاستقلال الوطني في 30 نوفمبر 1967م. فالأجوبة التي وردت في الكتاب تكشف اتفاق الجميع على الوحدة اليمنية وعجز الجميع عن التفكير بهذه الوحدة كممارسة فعلية وكبرامج وأفعال وقرارات.. ذلك هو الموقف في اليوم الأول بعد الاستقلال الوطني، حكومة فتية لم تستطع تقديم أية مقاربة في اتجاه الإجابة عن سؤال الوحدة، الذي كان شعاراً عالياً للثورة ضد الاستعمار والنظام الإمامي لسنوات، لكنه توقف عند مأزق التجربة الواقعية. وكذلك كان الحال في النظام الجمهوري في الشمال، الذي كان يصارع من أجل بقاء الجمهورية ضد فلول الملكيين الذين يحاصرون صنعاء من كل الجهات.

ذلك كان مأزق الوحدة قبل ولادتها المتعسرة أو الولادة التي لم تتحقق كما تهوى الأنفس وتلذ الأعـين، عند اليوم الأول للاستقلال الوطني وليس في هذه الحال أية غرابة فالأحداث التاريخية الكبرى لا تتحقق بالأحلام والأمنيات، ولكن بالفعل والتدبير والتخطيط. ولم يكن ثمة تيار أو حزب أو جماعة يعد مشروعاً للوحدة بين الشطرين، ليس ثمة سـوى الـهـدف الخامس من الأهداف الستة لثورة سبتمبر وكذلك شعار الوحدة الذي ورد في الميثاق الوطني للجبهة القومية.

لقد جـاء الاسـتـقـلال الوطني للشطر الجنوبي مـن اليمن في أوقـات صعبة وعسيرة، فالجمهورية في الشمال كانت تقاتل من أجل البقاء والجيش المصري انسحب بعد قمة الخرطوم، وتيار التحرر العربي الـذي انكسر بعد هزيمة يونيو 1967 امتدت ظلاله إلى اليمن، حيث أخذت الرجعية والاستعمار تهجم بكل قوتها على ذلك النظام الجمهوري الـذي ترك منفرداً، ولكن اليمنيون استطاعوا الدفاع عن الجمهورية وكانت معجزة المقاومة الشهيرة التي اجترحت ميثاقاً للحرية والثورة وتجمع الثوار اليمنيون من الشمال والجنوب والـشرق للدفاع عن صنعاء، في وقت غادرت رموز السلطة العاصمة التي كانت تحت نيران القوى الملكية.

وفي هـذا المناخ الثوري المقاوم والمدافع عـن الجمهورية، كـان إعـلان الاستقلال في الجنوب. ولعل أيا من الحكام في الشطرين لم يجرؤ على الحديث عن الوحدة، وليس الدعوة إلى الوحدة وإعلانها في ذلـك الحين. هـذا ما يمكن استخلاصه من الأجوبة التي حملها كتاب يحيى العرشي، الذي نبهنا إلى مسألة هامة، أن الوحدة لم تكن أمـراً موضوعاً في برامج الحكومتين في الشمال والجنوب، لم يكن هناك مشروع للوحدة ولـم يكن هناك رفض للوحدة.. هذا ما نستنتجه من الإجابات التي وردت على السؤال الخاص بالوحدة اليمنية عشية الاستقلال الوطني.

والتبريرات التي أوردهـا ممثلو النخبة السياسية في الشطرين في ذلك الحين أي في 1967م لم تكن مقنعة تماماً، فالحرب في الشمال للدفاع عن الجمهورية والحرب الأهلية في عدن بين الجبهتين اللتين قادتا الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني، الجبهة القومية وجبهة التحرير للظفر بالحكم بعد جـلاء الجيش البريطاني والإدارة البريطانية، هذه التبريرات إنما تؤكد القصور والعجز السياسي الذي كان قائماً في أوساط النظام الحاكم في صنعاء والجبهتين المتسابقتين للحكم في عدن، وكذا في أوساط الأحـزاب والتنظيمات القومية والوطنية الموجودة في الساحة الوطنية شمالاً وجنوباً.

وفي مقابل غياب الوحدة كمشروع سياسي عن برامج الأحزاب والتنظيمات والسلطتين في الشطرين، نلاحظ أن الوحدة كحقيقة واقعة تمشي على الأرض بين الناس وتحكم سلوكهم وتصرفاتهم كشعب واحد وأرض واحدة ونضال واحد، فالنظام الإمامي في صنعاء واجـه أول رفض وتمرد حين وقع اتفاقيات مع الانجليز في الثلاثينات، بل قبل ذلك حين قام بالتقارب معهم وتخلى عن فكرة تحرير الجنوب من الاستعمار البريطاني وقد تمرد عليه عدد من العلماء والفقهاء مذكرين بأن مبايعته للحكم إنما قامت على أساس هذا المبدأ.

وفي الجنوب كانت الـوحـدة تـبرز في كل تحرك جماهيري ابتداءً من التظاهرات ضد إقصاء ومنع أبناء اليمن من العمل والتجارة والتعليم بحجة عدم ولادتهم في مستعمرة عـدن، إلى ظهور الاتحاد العام للعمال في اليمن الذي رفع شعار الوحدة ورفض سياسات الاستعمار في منح الوظائف وفرص العمل وفقاً لشهادة الميلاد، وكانت المظاهرة الكبرى في 24 سبتمبر 1962م أمام المجلس التشريعي في عدن، أي قبل ثورة سبتمبر بيومين، التي أعلنت رفضها لانضمام عدن إلى اتحاد الجنوب العربي، كما رفضت شعار «عدن للعدنيين» ورفع المتظاهرون شعار الوحدة اليمنية كهدف أساسي بعد إسقاط النظام الإمامي في الشمال وتحقيق الاستقلال في الجنوب. ونظراً لقوة الإيمان بالوحدة في أوساط الجماهير، عجز النظام الاستعماري البريطاني والنظام الإمامي عن توقيع أي اتفاقية لترسيم الحدود بين الشطرين، رغـم المـحـاولات والمفاوضات المتكررة التي قام بها ممثلون عن النظامين فقد تركت كثير من الخرائط مفتوحة وغير محددة ما عدا بعض المواقع التي تجري فيها عمليات التنقل والتجارة والمعاملات الجمركية، ورغم هذه الحدود المرسمة فقد وضع الانجليز أكثر من خط حدودي في عدد المواقع التي أرادها الانجليز أن تكون مواقع للاقتتال بين الشطرين في المستقبل. وقد ذكر الأستاذ يحيى العرشي في كتابه أحد هذه المواقع بين شبوة ومارب حيث ظهرت استكشافات نفطية في المنطقة الحدودية التي لم تكن مرسمة بصورة دقيقة وكادت أن تشعل حرباً ثالثة بين الشطرين في 1988م لولا تدارك الأمر، التوافق بين السلطتين. هذا التوافق الذي كان بداية الطريق نحو تحقيق الوحدة في 1990م.

وما أكثر هذه المواقع التي تحمل الفتنة والحرب إذا عادت اليمن إلى عهد التشطير والانقسام!

كيف ظهرت فكرة هذا الكتاب في ذهن يحيى العرشي؟ ومتى ظهرت؟ وما الـذي دفعه لوضع تلك الأسئلة التاريخية والسياسية العميقة التي تتعلق بالوحدة اليمنية كـمـشروع تاريخي وطـنـي، وفي مرحلة تاريخية مهمة من تاريخ اليمن والحركة الوطنية. مرحلة ما قبل ثورة سبتمبر وحتى عشية الاستقلال الوطني في 30 نوفمبر 1967م. لقد قارب العرشي في أسئلته مرحلة مهمة في تاريخ اليمن المعاصر، وكذلك مرحلة مهمة من مراحل تشكل الوعي الوطني. ومن المؤسف أن كثيراً من الإجابات لم تتفاعل مع هذه الأسئلة بالعمق والصدق اللازمين، ليس في الأمر غرابة هذا هو السياسي اليمني، أو أن هذا هو النموذج السائد في أوساط السياسيين وكذلك المثقفين اليمنيين الذين يتخلون عن دورهـم التاريخي بمفهوم الأثلجنسيا التي عبر عنها المفكر الايطالي انطونيو غرامش، وقبلوا بالتحول إلى تابع للسياسي يسير وراءه ويتبع خطاه بدلاً من العكس. عبر الجميع فوق سطح الأسئلة إلا قليلاً منهم، لم يحفروا قليلاً ليتأملوا ما تحت السطح، لعلهم أثروا السلامة، خافوا من مواجهة الحقيقة، فالوحدة سؤال الأسئلة بالنسبة للعمل الوطني والجواب عنها أمير الأجوبة إذا جاز القول. فالإنسان اليمني وحدوي بالفطرة إذا أمكن القول وحتى أولئك الذين نادوا بالجنوب العربي في الخمسينات أو الأربعينات ما لبثوا أن عادوا لتصبح تسميتهم رابطة أبناء اليمن.

إلا أن السياسة نقيض الفطرة والطبيعة فهي عمل وتدبير وإعادة ترتيب للمجتمع وفقاً لأهداف كل جماعة أو حزب. والذين أجابوا على أسئلة الوحدة التي طرحها العرشي في ملفه الشائك، اختاروا الفطرة والتعميم للإجابة واختار بعضهم التخفي في إجابات لا تحمل أي يقين بل تمتلئ بالشك وتـراوغ بعدم المعرفة في كثير من الحالات. ونحن نعلم أن من قال لا أعرف فقد أفتى، ولكن هـذا في الفقه وليس في التاريخ والسياسة. ولذا تعجب أن عدداً من القادة السياسيين والوطنيين قد حملت إجاباتهم عبارة لا أعرف .. رغم أنهم كانوا أشخاصا فاعلين في الثورة والحركة الوطنية في تلك المرحلة من الستينات.

ولـئن اعتقد الأستاذ يحيى العرشي أن هذا الملف عن الوحدة ينتمي إلى مرحلة قد انقضت ولهذا قام بنشرها اليوم، لكن الحقيقة غير ذلك فهذه الأسئلة التي تنتمي إلى الماضي، إنما هي أسئلة الحاضر أيضا وهذا ما عبر عنه العرشي نفسه في إهدائه الجميل الـذي خطه على نسخة الكتاب التي أهـدأ فيها : «صفحات من الماضي في قضية الحاضر» ولذلك قلت إن الذين قاموا بالإجابة على تلك الأسئلة مشكورون ومأجورون وهم قلة بطبيعة الحال، فقد قال العرشي إنه قدم أسئلته لنحو خمسة آلاف شخصية يمنية ولم يحصل إلا على ذلك الرقم المحدود من الأجوبة. أقول إن الذين قدموا أجوبتهم كانوا يضعون حساباً لتقاسيم الأيام والمواقع السياسية وتقلباتها. ولذلك كانت أجوبتهم تقف على الصراط بين نعم ولا للوحدة. لم يفطن كثير من المشاركين أن أسئلة العرشي موجهة إليهم أنفسهم كمشاركين فاعلين في الثورة والجمهورية والاستقلال، فالأسئلة تكاد تجتمع في سؤال واحـد: أين موقع الوحدة في كل شخص منكم شارك وناضل في سبيل الجمهورية والاستقلال و»....«؟! الوحدة هي الضمير المستتر الـذي ضـاع في سياق التاريخ والممارسة والنضال الوطني. من المؤسف أن الذين شاركوا في هذا الاستبيان الوحدوي لم يكن أحد منهم يتحدث عن نفسه عن موقفه وعن دوره في المشروع الوحدوي الوطني، في يوم الفصل، يوم الاستقلال الوطني.. لم يقل لنا أي من المشاركين وفيهم القادة والرؤساء والـوزراء لماذا لم يطرح الوحدة كاختيار ومصير في ذلك اليوم التاريخي العصيب ولمـاذا تركنا جميعنا الأحـداث تجرنا إلى حيث لا نريد لماذا استسلمنا لمكر التاريخ الذي تحدث عنه الفيلسوف الألماني هيغل حين أشار إلى نأن أن الثوار يعتقدون أنهم بثورتهم يصنعون التاريخ ويغيرون وقائعه وأحداثه لكنهم يجدون أنفسهم في آخر المسار قد وصلوا إلى النهاية التي لا يريدونها فالأحداث قد دفعتهم في اتجاهات ودروب غير تلك التي اعتقدوا أنهم يصنعونها.

هكذا سـارت الأحـداث في اليمن مع مكر التاريخ الذي تحدث عنه هيغل، وبينما كنا نظن أن الأمور تتجه نحو توحيد اليمن، بوحي الفطرة وبـدون الإرادة والعمل من أجـل الوحدة في ذلـك الحين، وبـدلاً من تحقيق الوحدة قامت دولتان شطريتان في اليمن، وأخذت كل منهما تقوي كيانها الشطري فيما تتحدثان عن الوحدة.

ومن المهم أن نذكر هنا أن فكرة هذا الكتاب طرأت على ذهن الأستاذ يحيى العرشي في الوقت الذي اشتعلت فيه أحداث 13 يناير 1986م وما جرى فيها من انفجار لكيان الدولة في الشطر الجنوبي من اليمن. كانت تلك الأحداث تمثل نهاية للكيان الشطري في الجنوب، الذي ولد يوم الاستقلال واستمر في «الحاضنات الماركسية» أكثر من عقدين من الزمن بدون أن يقوى عوده ويتماسك كيانه، كذلك الأمر بالنسبة لكيان الدولة في الشطر الشمالي، ففي أعقاب ما سمي بالمصالحة الوطنية بين الجمهوريين والملكيين أفرغت الجمهورية والثورة من مضامينها الوطنية، وفي غضون سنوات قامت القبيلة بالانقلاب عـلى الجمهورية واستولت عـلى أركـان السلطة لتنشأ دولة داخل الدولة. هكذا أصبح المشهد السياسي في اليمن في نهاية الثمانينات، دولتان شطريتان منهكتان وصلتا إلى حدود النهاية، تعبران عن فشل الدولة الشطرية والحاجة إلى دولة الوحدة، وهو ما تم بعد ذلك، ولكن للأسف، بنفس الطريقة التي فاجأنا بها الاستقلال، وأتمنى لو كان الأستاذ يحيى العرشي قد أعد أسئلة الخاصة بيوم الوحدة والجمهورية اليمنية.. ترى هل كانت أجوبة المسؤولين المشاركين سوف تكرر عبارات مثل لا أعرف أو أظن أو ... وغيرها من الإجابات التي لا تحمل يقين المعرفة..هل نحن نكرر في 1990م ما حدث في 1967م، كأن التاريخ يعيد نفسه، لكنه في المرة الأولى يحمل طابعاً تراجيدياً وفي المرة الثانية يأخذ طابعاً كوميدياً، إذ بعد أقل من عقدين من عمر الوحدة أخذ كثير من قادتها يتنكرون لهذا المشروع التاريخي، بل إن بعضهم أصبح يدعو للانفصال بصورة علنية صريحة وهـو الأمـر الـذي لم يكن ممكناً في يوم الاستقلال. لماذا هذا التحول في المواقف والوعي التاريخي والسلوك الوطني؟ سؤال مهم يفتح أسئلة أخرى مضافة، يحتاج إلى تعميق الفكر والتأمل. ومن يعلم فربما أعد لنا العرشي ملفاً آخر مختبئاً في مكتبته، أو ربما أننا نحتاج إلى التفكير مـرة ثانية في سـؤال الوحدة من الاستقلال إلى الوحدة بطريقة هادئة وعميقة، وبدون هوامش التشطير والتشوية والتشظي وغيرها.

تحية للأستاذ يحيى العرشي الذي حرص على أن يذكرنا بأسئلة الماضي ومشكلات الحاضر.

صدام الشيباني

الذهنية الروائية (2)

انصرف الروائيون الى البحث عن أشكال الراوي والمكان , لنسج العمل الروائي , واهتموا بانفتاح النص وانغلاقه , واتجه بعضهم الى الإثارة الاجتماعية للحصول على المقروئية , وبعضهم الى المتاجرة بآلام الناس سرا , على أن تلك الكتابات هي النماذج الروائية التي ينبغي أن تكون . والمعضلة الحقيقية مازالت قائمة بين الكتابة بأسرارها والذهنية الروائية , والكتابة المقصودة هنا هي الكشف عن المستور والبحث عما غاب عن المجتمع بفعل «السحر» المغيب للحقائق من قبل كل السلطات , وليست الكتابة التدوين , التي يسرد بها كثير من الروائيين , فالكتابة السردية «عقلنة» , وهي متجهة الى نقد هذه العقلنة , وأنواعها , وعلى الذهنية الروائية ان تتنبه لذلك , لا ان تقع رهينة التفكير السطحي , لأن السطحية موت للكتابة . والعقلنة الروائية نقد لبنية العقل العربي , وطريقة التفكير القرائي , وتأمل مراجعة منظومة الأفكار الخارجة عن المشاريع الاجتماعية والسياسية والثقافية , أو تطبيق سياسات ورؤى ليس لها موطئ قدم في الإقليم العربي , وقد انشغل العقل العلمي عن ذلك , بقي الخيار امام الأدب لكي يصحح عمل العقل في مساره , وأعني الجهود الفكرية بعيدا عن التعصب , وقد قدمت بعض الروايات نقدا بصورة متطرفة الى منظومات فكرية , ولم تتبن خيارات موضوعية صرفة . أمام الذهنية الروائية أن تقوم بإدارة الخلافات الاجتماعية والفكرية , وتنظيم المجتمع حسب حاجة الناس الى الحياة المستقرة , وتنظيم أشكال السلطات , بما يسمح بإقامة حوارات ديموقراطية داخل المجتمع , تضمن قناعات الناس بالمساواة في توزيع القوة والثروة , والمشاركة السياسية دون إقصاء . من خلال إقامة علاقات ناجحة ومثمرة بين الأشخاص وذات رسالة غائية . على الذهنية الروائية الإفادة من الخطاب العلمي , بتحويل أفكار النظريات الحديثة التي تمس حياة المواطن الى صيغ فنية , تؤثر في القراء , وتغير من حياتهم بطرق ناعمة , لا يشعرون بذلك , وأقصد هنا الخطاب العلمي بكل أنواعه , و الإفادة منه في الصيغ الشكلية عبر تجديد الخطاب , فالعلوم متداخلة وتصب كلها في مصلحة الإنسان , وهو محورها , وللتقريب ؛ طبق بعض الأدباء رؤى في علم النفس وعلم الاجتماع وظلت جهودا فردية لم تطور من قبل خطاب النقد . كذلك اعتاد المجتمع العربي على الفوضى الوظيفية في الحياة , وعلى الذهنية الروائية الالتفات الى هذه الفوضى , من خلال إعادة أدوار التخصص الى الشخصيات الروائية , ووضع التخصص المناسب للشخصية المناسبة , والخروج من المواقع غير المؤهلة التي تدمر الأوطان وكذلك عليه إحياء الضمير الوظيفي , حتى يكون المرء محاسبا أمام نفسه , وخطاب الرواية قادر على ذلك إحياء ذلك . وهذه قضية مهمة أمام السرد . كذلك على الروائي ان يتذكر أن خطاب الحداثة دخل مرحلة الكذب والزيف والتضليل على الناس , والمراوغة والاحتيال , والتعامل مع النبى التقليدية , وتسريب أنساق استبدادية , وهو ما جعل الناس يتركون الاستعانة بالخطاب الحداثي , على الروائي أن يعيد تأهيل الحداثة التي دمرها خطاب الفكر , ودعم توجهاتها بما يناسب حاجة الأوطان , وحاجة المرء الى ذلك , لأن الرواية عمل حداثي وعليه أن يقيم نفسه قبل أن ينتقده الآخرون . ومن المهم أن يكسر الروائي أنساق التقليد , لا أن يقع فريسة له , كما وقع أغلب الروائيين في ذلك , وان يحارب في أعماله صناعة الوهم , التي يتاجرون بها ليلا ونهارا , ولعلها تجارة مربحة لأصحاب النفوذ , ويدرك الروائي ذلك , لأن المجتمع غارق في (الوهم) الى الدرجة التي تحول فيها الى خطاب ثقافي رسمي يدير شؤون المجتمع , وهذه كارثة يجب السيطرة عليها . ولا يفوتني هنا الوهم الديني الذي صير كل شيء الى وهم مقدس , وأمر الناس بالخضوع له , وهو من صناعة الفكر البشري , وما أجمل من الرواية في محاربة ذلك , وكشفه . وليس بغائب عن الذهنية الروائية معاناة عذابات السجون , لكنها تتغافل عن ذلك لأسباب يعرفها الروائيون , والحديث عن عذابات الإنسان في السجون الخارجية (القمع والاضطهاد) والسجون الداخلية (التوتر والخوف والقلق) حديث يثير شجون العامة من الناس وكذلك النخبة , ويثير سخط السياسي , والعسكري , والبلدان العربية سجون ممتلئة بالمعذبين والمضطهدين , الذين أخذوا في الشهرة , والذين لم يشتهروا , فالى متى ستظل هذه العذابات بعيدة عن أعين القراء , وبعيدة عن الرأي العام العربي ؟ هذا سؤال يختص بالإجابة عنه الروائيون . لم تهتم الذهنية الروائية بنظام التعليم العام ومخرجاته , في حين أن النظام التعليمي هو الذي يصنع مستقبل البلدان , وعند العرب هناك الكثير من الزيف والمغالطة , في كتابة التاريخ وتعليمه , أو المعلومة بشكل خاص , في العلوم , ومازالت تدرس أوليات العلوم , والأفكار النظرية المؤسسة من القرن التاسع عشر , بالإضافة الى غياب الكادر وغياب المنهج الحديث , وغياب الميزانيات , وهذا جعل مخرجات هذا التعليم مهزوزة , وهشة , تغيب عنها الحقائق , ولا تستطيع التفكير في ضرورياتها , على الروائي أن يتبين هذا الجيل , ويبحث عن السبل المؤدية الى التخفيف من أزماته , لأنه جيل «بلاستيكي» . وأهم مما سبق أن يتأمل الروائي «عمق الإنسان» ويحس به , و يحاوره, ويكشف مواطن الإبـداع فيه , لأن في هذا العمق الكثير من التجارب التي لم يكتب عنها بعد , ففي الإنسان مراحل عمرية , وطاقات وأسرار , يبين فيها أصالته الإنسانية ومستواه , فكل تجربة إنسانية تختلف عن الأخرى وتفحص هذه التجارب يخلق تجارب إبداعية ملفتة للنظر , وجديدة , ففي الأعماق توجد المعاني العميقة .